Bishop Chahda

حج الحياة الحقيقية في الله في موسكو ، 2-10 أيلول 2017

كيف نبني الجسور بين انقساماتنا ونحقق السلام في العالم؟

المطران انطوان شهدا
مطران حلب - كنيسة السريان الكاثوليك

السيدات والسادة،

أشكر بداية القيمين على هذا اللقاء المميّز، على دعوتكم لي للمشاركة في هذه المداخلة حول التساؤل التالي:

ما هو الجسر الذي يجمعنا، والتركيز على الغنى في كل الديانات وما يجلب السلام للعالم؟

نعم، من الأهمية بمكان أن نبني جسور التواصل الانسانيّ بين مختلف الثقافات لنبني معا الحضارة الانسانية ،في وقت يسعى فيه الكثيرون لهدم الجسور وتقطيع أواصر الترابط الاجتماعي مستعملين لغايتهم هذه كل الوسائل المتاحة بين أيديهم من تفرقة دينيّة واقتصادية بالفكر أو بالسلاح، فعَن أيّ سلام نتكلم إن لم تتوقف أولاً آلة الحرب المدمّرة الفكريّة قبل الحربية.

تاريخيًا:
عرفت بلاد الشام عامة ومدينة حلب خاصة تغييرات شعوبية كبيرة، منذ بدء ذكرها في التاريخ إلى اليوم، إثر تعاقب المستعمرين من مختلف الشعوب عليها، بالحروب أو الاستعمار، بالاقتصاد والدين، وحلب الّتي تُعدّ أقدم مدينة في العالم ما زالت مأهولة إلى اليوم، لم نكن بمنأى عن كل هذه التغيرات وما نتج عنها، فهي منذ وجدت تعاقب عليها الكثيرون واختلف اسمها مرات عدة إلى ان استقرّ اسمها "حلب"، ولكنها في كل ذاك التاريخ استمرت الحياة فيها ولم تنقطع يوميًا، وبقيت مأهولة إلى يومنا هذا.

اجتماعيًا:
نتيجة هذه التغييرات، والكثير منها نتيجة الحروب والاستعمار، بقيت مجموعات كثيرة ومتنوعة من تلك الشعوب وتزاوجت مع أهل هذه المدينة، فتنوعت فيها الثقافات واللغات فاغتنت حلب من مختلف العادات والتقاليد الّتي حملها المستوطنون الجدد.

سياسيًا:
بقيت حلب صامدة في أوجه الكثير من المستعمرين، ولم تفتح أبوابها إلا من أرادت هي وبمعاهدات ضمنت لأهلها الاستقرار والتعايش، فرغم موقعها الجغرافي المتميّز، بقيت مدينة اقتصادية وثقافية وتجارية ودينيّة بامتياز، أكثر بما هي مدينة أو عاصمة للسياسة أو للأمراء أو الملوك.

اقتصاديًا:
هذا الموقع الجغرافي وتنوّع الثقافات فيها جعلها منذ زمن بعيد طريقًا وممرًا ومستقرًا للتبادل التجاري بين الشرق والغرب حتى وصلت القوافل إلى الهند، وكان ما يُعرف ب "طريق الحرير"، هذا البُعد التجاري الاقتصادي كان له تمييزًا مما شجّع الكثيرين أن يتّخذوا منها مركزًا لتجارتهم وتبادلهم التجاري شرقًا وغربًا، فحملوا مع تجارتهم أفكارهم وثقافاتهم وحتى عائلاتهم، فكانت الحركة التجارية سببًا للحركة الثقافية والحضارية وحتى الدينية الّتي عُرفت بها حلب، ففيها القناصل والأدباء والارساليات.

دينيًا:
عُرفت مدينة حلب منذ القدم بتديّنها، مِن وثن ومسيحيين ويهود ومسلمين، فهي وإن كانت تدور في فلك إنطاكية وما اشتهرت به هذه المدينة دينيًا، إلا أن لمدينة حلب موقعها على الساحة الدينيّة من قدّيسين وملافنة ومفكّرين ومن مختلف الديانات، إن التّنوع الثقافي والتبادل التجاري، وما حمله التجار مع تجارتهم من أفكارهم الدينيَّة، لم تكن سببًا للتصادم والتقاتل بل للتقارب والانفتاح على ثقافة الآخر وديانته، مع الحوار والتفاهم والقبول.

اليوم:
ومع كل ما حَملت صفات التاريخ حلب من تقلّبات سياسيّة وثقافية واقتصادية ودينية وغيرها أو مع كلّ ما مرّ عليها من حروب أو كوارث طبيعيّة من زلازل ومجاعات وأمراض معدية، حتى هذه الحرب الأخيرة، ما زالت حلب تنبض بالحياة، ولا أُبالغ إن قلت ما زالت رغم ذلك، يمكنها أن تعطي دروسًا في القدرة على التغلّب على الحروب والصعوبات والكوارث الّتي تحل بها، وباستطاعتها أن تبقى كما كانت دائمًا جسرًا يربط بين الشرق والغرب، بين الشمال والجنوب، وباستطاعتها أن تبقى طريق الحرير الّذي عليه تسير، لا البضائع والتجارة فقط، ولكن أفكار الاحترام المتبادل وقبول الآخر والعيش بسلام، رغم كل الاختلافات التي تحملها الثقافات المتنوّعة.

دينيًا، إنّ حلب مسيحيًا أقرب ما تكون إلى المدينة المسكونيّة بامتياز ففيها ست طوائف كاثوليكية وثلاث ارثوذكسية وجماعتين إنجيلية، تعيش معًا باحترام متبادل ولقاءات دورية وشهرية، وتعمل معًا لما فيه خير للمسيحيين دون النظر إلى طائفتهم، وهكذا الأمر مع المسلمين بمختلف مذاهبهم، فالعمل هو التوافق على ما يجمع بين الديانتين وليس بين ما يفرّق بينهما،

يلتقي رجال الدين المسيحي بعلماء الدين المسلمين ليس للنقاس في أمور الدين او ليُقنع أحدهم الآخر بدينه، أبدًا، بل للعمل على المحبة المتبادلة والعيش معًا بسلام، وبالابتعاد عن كل ما يثير النعرة أو التعصّب أو يؤدي إلى تكفير الآخر.

أما ما يجلب السلام لحلب، وقد يكون أيضًا للعالم، هو العمل الجاد والدؤوب على ركيزتين أساسيتين: حضارة الإنسان، والبعد الثقافي. فكل إنسان هو "إنسان" مهما اختلف عنّا دينًا أو طائفةً. والعامل الثقافي يَرقى بالإنسان إلى اللقاء بالسلام والمحبة مع الإنسان الآخر، مُبتعدين عن كلّ فكر يصل إلى التعصّب والتكفير وإلغاء الآخر، وتبقى المحبة هي الرابط الأساسي الّذي يربط المجتمع في وحدة متماسكة ومعًا يتغلّب هذا المجتمع على كل تهديد أو حرب او وعيد، وكلّ ذلك تحت سقف العيش الصحيح للمواطنة في بلدٍ ووطن واحد.

وشكرًا.